تقويم باقة من فرائد الأدب في أمثال العرب

الدكتور زكريّا إدريس حسين*

أ ـ المدخل

إنّ هذا البحث محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على عدد يسير من الأمثال السائدة عند العرب، كما وردت في ما جمعه العلاّمة الأب لويس المعلوف اليسوعيّ ودوّنه في كتابه المنجد في اللغة[1].

فالأمثال في المنجد، وعددها ألف وستّمائة ونيّف، ذخيرة نفيسة جدًّا تهمّ طلاّب اللغة العربيّة واللغات الأُخرى أيضًا. ولا بدّ لي من الاعتراف هنا بأنّني استفدت من المنجد في جميع أقسامه حتّ الاستفادة[2]، وأرى من جوانب شكر النعمة أن أقول شيئًا، ولو كان شرحًا لطيفًا أو نقدًا طفيفًا ـ عمّا قرأت، وربّما يستفيد سواي من كلامي ويزيد ذلك في حسن المنجد ونفعه. وليست غايتي أن أمارس النقد للنقد لكوني محاضرًا في اللغة العربيّة وآدابها، فناشرو هذا المعجم أصحاب علم وسماحة وتواضع، ولا أدلّ على ذلك من قولهم في مقدّمة الطبعة

(*) أستاذ في شعبة الدراسات العربيّة، قسم الأديان، جامعة إلورن (نيجيريا).

(١) صدر عن دار المشرق البيروتيّة في طبعات متكرّرة، آخرها الرابعة والثلاثون سنة ١٩٩٤، وهي التي اعتمدناها. وفي الهوامش الباقية يُشار إلى هذا المرجع بالمنجد فقط.

(٢) وكذلك استفاد والدي الكريم المرحوم الشيخ الحاج إدريس حسين (١٩٢٠-١٩٨٤م) من المنجد في دراساته وتدريسه العلوم العربيّة والإسلاميّة في مدينة أونشي، ولاية أيدو بنيجيريا.

السابعة عشرة (١٩٦٠) من المنجد إذ قالوا:

«ولا يفوتنا أنّ طريقتنا هذه لم تبرأ من النقص. فهي، على جزالة نفعها، إلى النراة أقرب منها إلى السعي المتمّم. وأغلب الظنّ أنّ عملنا لا يخلو من خطإ. فإلى أرباب اللغة نرغب أن يتفضّلوا فيلفتوا نظرنا إلى ما نكون قد لَحَنّا فيه»[٣].

إنّ هذا البحث تلبية متواضعة لذلك النداء الأكاديميّ النافع. وقد ترأت الأمثال مرارًا واستعملت كثيرًا منها في تدريس اللغة العربيّة في عدّة جامعات بنيجيريا[٤]. وفي أثناء استفادتي من هذه المجموعة لاحظت أنّ باقة منها تحتاج إلى زيادة من البيان والتبيين. ومنها ما يحتاج إلى تنقيح يسير إمّا في المبنى أو في المعنى. وهي ثلاثة وعشرون مثلًا ونصّها كما يلي:

١ - آكُلُ لحمي ولا أَدَعُه لآكِل.
٢ - يأكُلُ التَمرَ وأُرجَمُ بالنوى.
٣ - تَمّامُ الربيع الصيفُ.
٤ - الجار ثمّ الدار.
٥ - تَجوعُ الحُرَّة ولا تأكل بثَدْيَيها.
٦ - حَسَنٌ في كُلّ عينٍ ما تَوَدُّ.
٧ - يَدْهُنُ من قارورةٍ فارغة.
٨ - أُرِيها السُهَى وتُرِيني القمر.
٩ - مَن استَرعَى الذئبَ ظَلَم.
١٠ - كم بين مُرِيدٍ ومُرَاد.
١١ - لكلّ ساقطةٍ لاقطة.
١٢ - لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني.
١٣ - مَنْ أشْبَهَ أباه فما ظَلَم.

---

(٣) راجع المنجد ص آ.

(٤) والجامعات هي جامعة بايرو بِكَنُو، وجامعة إلورن بإلورن، وجامعة إيادَن بإبادَن، وجامعة ولاية أوندو بأدوأيكيتي.

١٤- إن لم يَكُن شَحْمٌ فَنَقْشٌ.
١٥- أَشَدُّ حزنًا من الخَنساء على صَخْر.
١٦- الصَّبِيُّ أَعْلَمُ بِمَضغِ فيه.
١٧- إنّكَ تَضْرِب في حديدٍ بارد.
١٨- طَرْفُ الفتى يُخبر عن جَنانه.
١٩- عَبْدٌ وحَلْيٌ في يدَه.
٢٠- يُعَدُّ لكَلْب السوء كَلْبٌ يُعادِلُه.
٢١- أَفْرَطَ فأسقط.
٢٢- رُبَّ مَلُوم لا عُذْرَ له.
٢٣- تموت الحُرَّة ولا تأكل بثديها.

وطريقة علاج الموضوع هي أن آتي بنصّ المثل أوّلًا ثمّ بشرحه كما ورد في المنجد ثمّ تعليقي عليه. لقد استعملت «ن» إشارة إلى نصّ المثل و«ش» للشرح و«ت» للتعليق. وفي مثل هذه المحاولة قد يصيب الناقد أو يخطأ. وإذا أصبت فالحمد لله على ذلك. أمّا إذا أخطأت، فليعرف القارؤون أنّ هدفي الوحيد هو إفادة الناس ـ لا إضلالهم. «إنّما الأعمال بالنيّات وإنما لكلّ امرىء ما نوى»[٥] فالله هو العالم الفاحص الكامل لما ينويه الإنسان وهو عليم بذات الصدور.

ب ـ الأمثال وشرحها والتعليقات عليها

١ ـ ن: آكُلُ لحمي ولا أَدَعُهُ لآكِلٍ[٦].

ش: يُضرب للرجل يصيب نفسه وعشيرته بالمكروه ويأبى أن يصيبهم به غيره. ويراد به أيضًا نصر القريب على الأجنبيّ وإن كان بينك وبين القريب تنافر وعداوة.

ت: الشرح صحيح إلى حدّ. وإذا نظرنا إلى المثل من جانب آخر

(٥) حديث نبويّ شهير رواه البخاري. راجع محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (غير مؤرّخ) الجزء الأوّل، ص ٢.
(٦) المنجد ص ٩٧١.

نجد أنّه قد يكون قولَ بخيلٍ أنانيّ يؤثر نفسه على غيره ولا يُبقي لغيره من حسناته شيئًا. وقد يكون المعنى أنّ المرء يعرف أنّ الناس كثيرًا ما يكفرون بنعمة ويجحدون الخير الذي تمتّعوا به من قِبَل غيرهم. ولذلك يحذر ويستهلك جميع ماله ولا يريد أن يتمتّع به غيره.

٢ - ن: يأكُلُ التمرَ وأُرجَم بالنوى[٧].

ش: يضرب لمَن يستأثر بالمنافع ويترك المتاعب لغيره.

ت: الشرح صحيح ولكنّ المعنى أشمل من ذلك. لو أكل التمر وترك النوى لغيره لكان الأمر أهون. فإنّه أكل التمر ورجم غيره بالنوى. فالإنسان الذي يتصرّف كآكل التمر هذا هو البخيل الممقوت الذي يؤثر نفسه على غيره دائمًا ويؤذي الناس لمنفعة نفسه فقط. فالخير الأكمل هو ألّا يُقترَب من مثل ذلك المرء.

٣ ـ ن: تمّام الربيع الصيف[٨].

ش: أي تظهر آثار الربيع في الصيف. وهو كقولهم «الأعمال بخواتيمها». يضرب في استنجاح تمام الحاجة.

ت: أشهر فصول السنة أربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء. فالصيف يتبع الربيع في الترتيب الطبيعيّ. وبالنسبة إلى النصف الشماليّ لكرة الأرض، فإنّ فصل الربيع يبدأ من ٢١ مارس (أذار) ويستغرق ثلاثة أشهر وينتهي في اليوم ٢١ من شهر يونيو (حزيران). ويبدأ الصيف من ٢١ يونيو وينتهي في اليوم ٢١ سبتمبر (أيلول)[٩]. ومن هذا البيان نرى أنّ في شرح المثال

---

(٧) المرجع نفسه ص ٩٧١.

(٨) المرجع نفسه ص ٩٧٥.

(٩) المرجع نفسه، ص ص ٢٤٦ و٤٤٢. قلت هنا: «أشهُرُ فصول السنة» لأنّ في بعض أقطار العالم أقسامًا أخرى لا تطابق هذه الأربعة. فمثلًا في نيجيريا فصلان: فصل الأمطار (من مايو إلى أكتوبر تقريبًا) وفصل الجفاف (من نوفمبر إلى إبريل تقريبًا). ومن ضمن فصل الجفاف فترة الهمرتان التي تأتي ببردها المشوب بالجفاف والتي يسمّيها بعض علماء نيجيريا خطأً «فصل الشتاء».

خطأ. فمدلول المثل هو أنّ في تمام الربيع وسائم الصيف الذي يتبعه. فهذه ظاهرة طبيعيّة. أي قبل أن ينتهي الربيع تظهر بوارق الصيف. ومثل ذلك ظهور علامات الليل في غروب الشمس وظهور علامات الصبح بطلوع الفجر. والمثال في الشرح، أي «الأعمال بخواتمها»، غير لائق في مثل هذا المجال. والخلاصة هي أنّ المثل الذي نحن بصدده يدلّ دلالة واضحة على أنّ تمام الشيء إعلام بمجيء الذي يليه. ولذلك يُقال إنّ تمّام الشباب الكهولة والشيب رسول الموت.

٤ ـ ن: **الجار ثمّ الدار**[١٠].

ش: هذا المَثَل مِثْل قولهم «الرفيق قبل الطريق». أي يجب السؤال عن الجار قبل شراء الدار.

ت: فالشرح جيّد غير أنّه غير واضح للكثير. وعلى مَن يريد أن يشتري دارًا أو يكتري دكّانًا أن يسأل عن أحوال الجيران ويعرف أخلاقهم كيلا يخسر أو يندم مجاورتهم في الأخير. والمَثل يعلّم الناس الحذار في كل ما يفعلونه لئلا يندموا من حيث لا تنفع الندامة.

٥ ـ ن: **تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها**[١١].

ش: أي لا تكون ظِئرًا وإن آذاها الجوع. والظئرُ التي تُرضع ولدَ غيرها. يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال.

ت: إنّ المثل واضح ومعناه جليّ وشامل. فمعناه قريب من القول الشائع في لغة يوربا (نيجيريا) «لا ينبغي للإنسان أن يسمّي الثور «أخًا» له لكي يجد لحمه ويأكله». ويدلّ أنّ هناك أعمالًا لا ينبغي أن يعملها الإنسان الذي يعرف قدر نفسه. والأقرب إلى ذلك المثل هو رفض المرأة أن تكتسب بالعهارة مهما تكن الحال.

---

(١٠) المنجد ص ٩٧٨.

(١١) المرجع نفسه ص ٩٧٨.

وهناك مشكلة في هذا المثل لا بدّ من تحليلها. فما أصله؟ هل هو مَثَلٌ عربيّ حقًّا؟ فالسؤال أصيل إذ نعرف أنّ نساء العرب منذ العصر الجاهليّ كنّ يُرضعن أولاد غيرهنّ لأجر. وكانت هذه الظاهرة شائعة في مكّة وكانت جلّ النساء يأتين من البادية. ولم يحتقر العرب هؤلاء النساء، بل كان من الأمانة أن يُترك لهنّ أولاد. وأشهر هؤلاء النساء حليمة السعديّة التي أرضعت النبيّ محمّدًا (صلّى الله عليه وسلّم). فمن هذا الجانب التاريخيّ يبدو أنّ هناك تناقضًا بين الواقع وبين المثل المذكور. وهذا ما أدّى إلى أن أبحث في أصله. وقد وجدت أنّه مع أنّ العرب كانوا يستخدمون مراضع فيرضعن لهم أولادهم، كرهت أكثر نساء العرب هذا العمل ولم يكن محمودًا عندهنّ، غير أنّ بعضهنّ لم يرين فيه بأسًا. وفي هذا قال محمّد عطيّة الأبراشي ما يأتي:

«وإنّ التماس الرضاع بالأجر لم يكن محمودًا عند أكثر نساء العرب، حتّى قيل في المثل: تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها. وكان عند بعضهنّ لا بأس به. وقد جرت عادة نساء القبائل التي حول مكّة بأنّهنّ يأتينها في كلّ عام لطلب الرضعاء من الأطفال يذهبن بهم إلى بلادهنّ، حتّى تتمّ الرضاعة. وكان من عادة نساء قريش أن يعطين أبناءهنّ إلى المراضع لأغراض، أهمّها أن ينشأ الولد في الأعراب فيكون أنجب ولسانه أفصح»[١٢].

وممّا سبق أقرّ أنّي لم أخطئ المَثَل ولا الشرح أيّ تخطئة؛ إنّما بيّنت جانبًا آخر من المسألة. وعلى كلّ حال فإنّ معنى المثل واضح كما ذكر في بداية هذا التعليق.

---

(١٢) محمّد عطيّة الأبراشي، عظمة الرسول، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٥. راجع أيضًا عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي، كتاب الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبويّة لابن هشام، مصر، ١٣٣٢/١٩١٤، الجزء ١، ص ١٠٩.

٦ ـ ن: حَسَنٌ في كلّ عين ما تودّ[١٣].

ش: هذا قريب من قولهم «حبُّك الشيءَ يُعمي ويصمّ».

ت: يبدو أنّ الشرح هنا خاطئ. فالقول من شعر عمر بن أبي ربيعة ـ أحد الشعراء البارزين في العصر الأمويّ. قال الشاعر في حبيبته التي تُسمَّى هندًا ما يأتي:

ليتَ هندًا أنجزتنا ما تَعِد ... وشفت أنفسنا ممّا تَجِدْ
واستبدّت مرّةً واحدةً ... إنّما العاجز مَن لا يستبدّ
زعموها سألتْ جارتنا ... وتعرّت ذات يوم تتبرّدْ
أكما ينعتنني تُبصرنَني ... عمركنّ الله أم لا يقتصدْ
فتضاحكنَ وقد قُلن لها ... حَسَنٌ في كلّ عين مَن تودّ
حسدًا حمَّلنه من أجلها ... وقديمًا كان من الناس الحسدْ[١٤]

ويبدو في البيت الخامس أنّ الشاعر استعمل «مَن تَوَدّ» مشيرًا إلى نفسه، وهو يصوّر حبيبته (هندًا) كأنّها تذكره في حضرة زميلاتها بإعجاب وشوق ومودّة، ونالت حسدهنّ لأنهنّ أحببنه كما أحبّته. وفي المثل المذكور غُيِّر «مَن تودّ» إلى «ماتودّ». والمعنى هو أنّ ما يودّه الإنسان المشار إليه هو شيء نفيس يودّه كلّ إنسان. وهو يصف الشيء المرغوب فيه بإعجاب واستحسان. وليس المراد قريبًا من المثل الذي يقول «إنّ الحبّ يعمي ويصمّ». بل إنّ الشخص الذي قال لزميله «حسن في كلّ عين ما تودّ» يرغب في نفس الشيء أو يستحسنه ويتمنّى لو كان من إمكانيّته أن يحصل عليه دون غيره. فالتغيير في قول عمر (من «مَن تودّ» إلى «ماتود») لا يلغي رأيي أنّ مادّة الودّ تجذب

---

(١٣) المنجد ص ٩٨٠.

(١٤) إنّ جلّ شعر عمر بن أبي ربيعة غزل. فهذه الأبيات من إحدى قصائده. راجع أحمد الإسكندريّ وغيره ج ٤ ص ١٦١؛ وأي. جي. أربري (١٩٦٥ م) ص ص ٤٠-٤٣؛ وأحمد الإسكندريّ ومصطفى عناني، ١٦٨؛ وحنّا الفاخوري، ص ص ٢٥٥-٢٦٣ (ثبت المراجع في آخر المقال).

المتكلّم كما تجذب المخاطَب في المثل.

٧ ـ ن: يَدهُنُ مِن قارورة فارغة[١٥].

ش: يُضرب لمَن يَعِدُ ولا يفي.

ت: في هذا الشرح بعض الخطأ. فالمثل يخاطب الذي وعده زميله، ولم يفِ ذلك الزميلُ ما وعد. والمثل يقول له إنّه قد وثق بغير أهله؛ أو بعبارة أخرى إنّه قد وضع ماله في جيب مثقوب. فالمثل يُضرَب في الحقيقة لمَن يطلب شيئًا في غير محلّه.

٨ ـ ن: أُريها السُهى وتُريني القَمَر[١٦].

ش: أي أريها الخفيَّ وتريني الواضح. وهو مثل يضرب لمَن يغالط في ما لا يخفى. والسهى نجم خفيّ. وقُرِن في خفائه مع القمر في ظهوره.

ت: ونضيف إلى ذلك الشرح أنّ الذي يُري صاحبه السُهى وهو يريه القمر قد يكون جاهلًا فيغلط في ما لا يخفى وقد يكون خدّاعًا مكّارًا لا يعامل زميله بإخلاص. وذلك الجانب الثاني غير جليّ في الشرح وهو مهمّ جدًّا.

٩ ـ ن: مَن استرعى الذئبَ ظَلَمَ[١٧].

ش: أي ظلم الغنم. ويجوز أن يراد ظلم الذئب حيث كلّفه ما ليس في طبعه. ويضرب لمَن يولّي غير الأمين أو يضع الأمانة في غير موضعها.

ت: الشرح صحيح. ونضيف إليه أنّ مَن استرعى الذئب ظلم الغنم وظلم مالك الغنم وظلم نفسه. وفي عمله سمات الجهل والحمق. ومَن استرعى الذئب لم يظلمه في ما فعل ـ إنّما أحسن إليه بتمتيعه الغنم للافتراس. ولو كان المسترعي عاقلًا خبيرًا لعرف حقيقة الأمر.

---

(١٥) المنجد ص ٩٨٦.

(١٦) المرجع نفسه ص ٩٨٨.

(١٧) المرجع نفسه ص ٩٨٩.

١٠ ـ ن: كم بين مُريد ومراد[١٨].

ش: يضرب مثلًا لعدم التوافق أو لصعوبة التوفّق، فقد تريد شيئًا وتُمْنَعه.

ت: العبارة «فقد تريد شيئًا فتُمنعه» تنقص قدر ما قيل قبله في الشرح. فالمثل يؤكّد التنافر الذي يكون بين المريد والمراد وبين الطالب والمطلوب أحيانًا. أمّا العبارة المشار إليها فهي تبيّن جانبًا من الجوانب الأربعة للمسألة. وقد يريد الإنسان شيئًا وهو جدير بحيزه وبناله. وقد يكون جديرًا بنيله فيمنعه مانع من نيله. وقد لا يكون أهلًا لذلك المطلوب فيناله لسبب إيجابيّ أو سلبيّ. وربّما لا يكون أهلًا به ولذلك يمنعه مانع من الحصول عليه. فالأمر متعقّد، ولذا أرى أنّ الأحسن بالنسبة إلى المثل هو أن تحذف العبارة «فقد تريد شيئًا وتمنعه» أو تبيّن المسألة كما أوضحنا.

١١ ـ ن: لكلّ ساقِطة لاقِطة[١٩].

ش: أي لكلّ كلمةٍ ساقطةٍ أذنٌ لاقطة. يضرب للتحفّظ عند النطق.

ت: فالشرح صحيح. ونضيف أنّ «الساقطة» قد تشير إلى المعنى الحقيقيّ للجمادات ـ أي لكلّ شيء ضُيِّع مَن يلتقطه. وبعبارة أخرى «وراء كلّ خاسرٍ فائز». وقد يَبحث الملتقِط عن مالك المادّة الساقطة إذا كان أمينًا، وإلاّ يحمد الله ويخفيه ويحسب نفسه ذا حظّ عظيم.

١٢ ـ ن: لو ذات سوارٍ لطَمَتْني[٢٠].

ش: قاله حاتم الطائيّ حين كان أسيرًا في بني عنزة مكانَ الأسير الذي فداه بنفسه. وكان أنّ أَمةً لطمته. والأمة لا تلبس عندهم حلية. فقال: «لو ذات سوار لطمتني» أي لو أنّ حرّة لطمتني لكان الأمر أيسر عليّ. يضرب هذا المثل في استخفاف الأمر لو

(١٨) المرجع نفسه ص ٩٩٠.
(١٩) المرجع نفسه ص ٩٩١.
(٢٠) المرجع نفسه ص ٩٩٢.

كان على صورة أفضل ممّا في الواقع أو لو كان المهين وجيهًا لا حقيرًا ذليلًا ودون المُهان قدرًا.

ت: هذا مثل ذو أهمّيّة. والبيان في الشرح واضح غير أنّ هناك جانبًا آخر لم يُطرق، ألا فهو جانب «ذات سوار». فالإشارة إلى ذات الحليّة من دون أن تذكر «الحرّة» ظاهرة مهمّة. وقد يكون الأسير من الرجال الذين تجذبهم حلية النساء ولذلك استعمل «ذات سوار» كنايةً عن الحرّة. وثانيًا، قد تكون تلك العاطلة حرّة ظهرت متنكّرةً بغير سوار إمّا احتقارًا للأسير أو لأنّها أرادت أن تفتح باب الحديث مع الأسير الذي ربّما قد سمعت عنه وعن جوده وكرمه وأحبّته. وكم يبدأ شأن المودّة بالشجار أو الصدمة. وفي ما سبق يبدو أنّ حاتم الطائيّ لم يقصّ لنا القصّة الكاملة.

١٣ ـ ن: مَن أشبَهَ أباه فما ظَلَم[٢١].

ش: مثل يُضرب للولد إذا كان على شاكلة أبيه خَلْقًا وخُلُقًا. أي لم يضع الشبه في غير موضعه لأنّه ليس أحد أولى من الولد بأن يشبه أباه.

ت: هذا مثل معروف وشائع جدًّا. والشرح صحيح بالنسبة إلى الولد الذي يشبه أباه خَلْقًا. أمّا في الخُلُق فإذا كان أبوه رجلًا سيّئًا وأخذ الولد سوءَ الخُلُق من أبيه ظَلَم الأب والابن. لأنّ تشبُّه الولد بأبيه لا يبرّر الأخلاق السيّئة حيثما كانت. وبعبارة أخرى فإنّ الولد الحسن الذي رفض أن يشبه أباه الطالح في الخُلق لم يظلم ـ إنّما يجلب مثلُ ذلك الولد الصالح لنفسه ولأبيه السيّء وللأسرة جميعها فخرًا وحسن الأُحدوثة. ونِعمَ الولد هو ويا حبّذا مَن له مثل ذلك الولد.

١٤ ـ ن: إن لم يكن شَحْمٌ فَنَتَش[٢٢].

ش: النَتَش الصوف. أي إن لم يكن فعل فرياء، أي تظاهُرٌ بخير دون حقيقة.

---

(٢١) المرجع نفسه ص ٩٩٣.

(٢٢) المرجع نفسه ص ص ٩٩٣-٩٩٤.

ت: هناك جانب آخر لهذا المثل. فمن معانيه أنّه إن لم نجد فيه الخير الكثير فلا نخسر إذ فيه قليل. فالمثل كالقول في نصّ القرآن المجيد: «فإنْ لم يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌ»[٢٣]. فمعنى المثل أقرب إلى هذا النموذج منه إلى البيان في الشرح. على كلّ حال، فلا أقول إنّ الشرح خاطئ. كلاهما صحيح. إنّما أقول إنّ الشرح أبعد من مدلول المثل. وفيه مسألة أخرى، ألا فهي مسألة النحو. كيف نعرب الجملة؟ هل كان «شحم» اسم كان (ليكون) أم خبره؟ أليس الصحيح أن يُقالَ «إن لم يكن شحمًا فنفسًا»؟ إن صحّ هذا الاقتراح ففي الشرح المشكلة نفسها: فعلينا أنْ نحوّل «أي إن لم يكن فعل فرياء أي تظاهر» إلى «أي إن لم يكن فعلًا فرياءً أي تظاهرًا».

١٥ ـ ن: أشدّ حزنًا من الخنساء على صَخْر[٢٤].

ش: صخر هو ابن عمرو السليميّ أغار على بني أسد فأصابه سهم واعتلّ منه ومات. فلزمت أخته الخنساء قبره تبكيه وترثيه حتّى ماتت.

ت: إنّ هذا الشرح يستلزم محادثة ثلاث مسائل: أوّلًا، إنّ اسم النسبة لسُلَيم هو سلميّ؛ فهو كقرشيّ (من قريش): فهنا خطأ[٢٥].

وثانيًا، إنّ الخنساء أحبّت أخاها حبًّا شديدًا لكرمه وجوده وشجاعته وإحسانه إليها. ولذلك رثته بدموع حارّة طوال حياتها. وديوانها مليء بالمراثي. أسلمت الخنساء مع قومها بني سليم حينما وفدوا إلى النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) بالمدينة عام ٦٣١م وأنشدت للنبيّ شيئًا من مراثيها. وعاشت لزمن استغرق أربعين عامًا بعد وفاة صَخر وتوفّيت حوالى عام ٦٦٤م في عهد معاوية بن أبي سفيان[٢٦]. ففي الشرح شيء من

(٢٣) القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٢٦٥.
(٢٤) المنجد ص ٩٩٤.
(٢٥) المرجع نفسه ص س.
(٢٦) زكريّا إدريس حسين، ص ص ١٩-٣٥.

الغلّ. وقد يفهم منه القارئ أنّ الشاعرة لزمت قبر أخيها ولم تعمل عملًا آخر حتّى توفّيت حزنًا بعد زمن وجيز. وممّا بيّنّا فالأمر ليس كذلك بالدقّة.

وثالثًا، بدلًا من أن نُفاد علمًا عن الشاعرة وكونها أحزن الناس في الدنيا كما ادّعت وكون أربعة أخماس القصائد في ديوانها مراثٍ، فإنّ المؤلّفين صرفوا النظر إلى صخر أكثر ممّا يجوز في مثل هذا الصدد[٢٧].

١٦ ـ ن: الصبيّ أعلَم بمضغ فيه[٢٨].

ش: يضرب لمَن يشار عليه بأمر هو أعلم بأنّ الصواب في خِلافه.

ت: هذا مثل معهود جيّد. فهو كقولهم «إنّ الظِفر أعلم بمحلّ الآكلة في الجسم»، غير أنّ استعمال الصبيّ هنا يرفع سؤالًا هامًّا وهو أنّ الصبيّ إنسان لا خبرة له في تجارب الحياة وشروطها أو شرائعها الأخلاقيّة. وقد يضع في فيه طعامًا ويمضغه كما يشاء ويظنّ أنّه يأكل كما رأى الناس يأكلون. فعلى أبويه أن يرشداه إلى أحسن طريقة في مضغ الطعام لئلا يستهزئ به رفاقه ويظنّ الناس أنّه لم يهذّبه أبواه. وعلى كلّ حال صحيح أن يقال إنّ الصبيّ أعلم بمضغ فيه ولكنّه يحتاج إلى إرشاد الكبار لئلاّ يخطئ.

١٧ ـ ن: إنّك تَضرب في حديد بارد[٢٩].

ش: يضرب لمَن يحاول الانتفاع بمَن ليس عنده نفع.

ت: وأيضًا يشير المثل إلى مَن يبذل جهده في عملٍ في غير محلّه. ومثل ذلك الشخص الضارب في الحديد البارد هو مَن يحاول أن يلفّ سمكةً مشويّة جافّة أو الذي يَدهن من قارورةٍ فارغة. فنتيجة عمل كلٍّ منهم الخسران والندامة.

---

(٢٧) زكريّا إدريس حسين، ص ص ٥٨-٧٠ و٨٨-٩١.

(٢٨) المنجد ص ٩٩٦.

(٢٩) المرجع نفسه ص ٩٩٧.

١٨ ـ ن: ربّ طَرْفٍ أفصح مِن لسان[٣٠].

ش: هذا مِثْل قولهم «البُغض تبديه لك العينان».

ت: إنّ هذا الشرح أقرب إلى المثل الذي جاء في المنجد قبل الذي نبيّنه الآن، ونصّه هو الآتي: «طَرْف الفتى يُخبر عن جنانه». وذلك أخصّ ممّا نحن بصدده هنا؛ وكون الطرف أفصح من اللسان في بعض الأحايين أعمّ. هذا لأنّ الطرف قد يبدي ما في القلب من خير أو شرّ أكثر ممّا يستطيع أن يقوله اللسان. فهذا المثل مهمّ جدًّا في علم النفس، غير أنّ بعض الناس يقدرون أن يمثّلوا في الظاهر ضدّ ما في قلوبهم إمّا نفاقًا أو تقيّةً أو استهزاءً بمَن يريد أن يفحصهم.

١٩ ـ ن: عَبْد وحَلْيٌ في يديه[٣١].

ش: يضرب في المال يملكه مَن لا يستأهله.

ت: إنّ هذا المثل يستلزم مناقشةً حارّة. قد يكون الإنسان غنيًّا وهو غير مستحقٍّ للغنى من وجهة نظر الناس. ومِثْل ذلك الجاهل الغنيّ مَن يقترف الذنوب في أكثر الأوقات بمالِهِ ظنًّا أنّه يتمتّع بماله. وثروة مِثل ذلك الغنيّ تسمّى في الإنجليزيّة الدارجة النيجيريّة «المال الذي ضلّ طريقًا».

ولهذا المثل جانب آخر ذو أهمّيّة، وهُو ما أشار إليه الأديب الإنجليزيّ الكبير شكسبير بقوله: «إنّ بعض الناس ولدوا عظامًا، ويكسب بعض الناس العظمة، وبعضهم يُمنَحون العظمة (مجّانًا)»[٣٢]. إنّ هذا القول بليغ وصحيح. فالأسئلة التي تتبادر إلى الذهن من مدلول المثل هي: مَن الذي يشارك الله في قسم الأرزاق؟ مَن الذي صيّر العبد عبدًا؟ وممّا نعرف أنّ الإنسان يولَد حرًّا؟ ولكنّ الناس هم الذين يَستعبدون أناسًا آخرين

---

(٣٠) المرجع نفسه ص ٩٩٧.

(٣١) المرجع نفسه ص ٩٩٩.

(٣٢) وليام شكسبير، ص ٧٤.

لأسباب أنانيّة، ثمّ يشيّدون القصور ويولّون أنفسهم على الآخرين. هكذا كان الأمر في جلّ الأمكنة والأزمنة.

فأنا لا أبرّر جمع المال ظلمًا في هذا البيان؛ إنّما أقول إنّ الله هو الذي يقسم الرزق كما شاء لمَن شاء. وقد يكون الفقير مهانًا اليوم ويكون له ابن غنيّ في المستقبل. وأحيانًا يُهدم بيت ثريّ لأسباب حسنة أو سيّئة فيكون أمر أهله هباءً منثورًا. كأن لم يكونوا ـ ومثال ذلك ما حدث للبرامكة في العصر العبّاسيّ في عام ٨٠٣م[٣٣].

٢٠ ـ ن: يُعَدّ لكلب السوء كلب يعادله[٣٤].

ش: يُقال ذلك عند الاستعانة بالسفيه ليدفع شرَّ مِثله.

ت: فهذا المثل كقولهم «إنّ الشرّ يدفع مثله». وكذلك القول في نيجيريا «إنّ المجنون الداخليّ ينفع في دفع شرّ مجنون خارجيّ»[٣٥]. فهذه حقيقة من حقائق الحياة اليوميّة. فإنّ الناس يلاحظون ـ من حين إلى حين ـ منافع مَن اعتبروه شرّيرًا وظنّوا أنّه لا خير فيه.

٢١ ـ ن: أفرط فأسقط[٣٦].

ش: معناه مَن كثر كلامه كثر سقْطُه.

ت: في النظريّة العلميّة فإنّ هذا المثل صحيح، ولكن في الواقع نعرف أنّ الأمر لا يكون كذلك في بعض الأحايين. وبعض الناس لا يتكلّمون كثيرًا في ما يبدو، ولكن حلّ ما يقولونه مشوب بالكذب والمكر والنفاق. وفي جانب آخر نلاحظ أنّ الإفراط يكون في الكلام وفي العمل. فلا خير في الإفراط والإسراف كما لا إفراط في الخير[٣٧].

---

(٣٣) فيلب حتّي، ص ص ٢٩٤-٢٩٦، والسيّد أمير علي، ص ص ٢٣٧-٢٦٢.

(٣٤) المنجد ص ٩٩٩.

(٣٥) هذا مَثل بورياوي ـ من الغرب الجنوبي، نيجيريا.

(٣٦) المنجد ص ١٠٠٤.

(٣٧) زكريّا إدريس حسين، الفصل الثالث من المخطوط المذكور سابقًا.

٢٢ ـ ن: ربَّ مَلومٍ لا عذر له[٣٨].

ش: إنّما قبل ذلك لأنّ من العذر ما لا يمكن إعلانه وإظهاره فهو بمعنى «ربّ ملوم لا ذنب له». وينطبق عليه قول الشاعر: لعلّ له عذر وأنت تلوم[٣٩].

ت: هناك تناقض بين «ربّ ملوم لا عذر له» وبين «ربّ ملوم لا ذنب له». فالبيان في الشرح للآخر دون الأوّل. الملوم الذي لا عذر له فهو يجدر باللوم ولا يعاتَب اللائمُ على لومه. فالعذر قد يكون قويًا أو ضعيفًا؛ وقد يتقدّم سرًّا أو علنيًّا، فالحقّ هو أنّ الملوم الذي لا عذر له ظلّ ملومًا حتّى يأتي بعذر. وبناء على ما سبق فإنّ في الشرح خطأً لا بدّ من تنقيحه [٥].

٢٣ ـ ن: تموت الحرّة ولا تأكل بثديها[٤٠].

ش: أي لا تُرضع بأجرة. وهو مثل يضرب للمروءة مع الحاجة.

ت: راجع التعليق على المثل الخامس المذكور أعلاه.

ج ـ الختام

في ما سبق حاولت أن أقدّم للقارئ الكريم تقويمًا لباقة من الأمثال العربيّة التي جمعها وشرحها صاحب المنجد. ومن الأمثال المختارة ما نظرتُ إلى جوانبها التي لم تُطرق في الشرح الأصليّ ومنها ما نُقّح مبناها أو مضمونها أو الاثنان معًا. وأكرّر أنّني لم أقصد في هذه المحاولة إلاّ

---

(٣٨) المنجد ص ١٠٠٧.

(٣٩) عمرو بن بحر الجاحظ، الجزء ٢، ص ٣٤٤.

(٥) ليسمح لنا صاحب المقال بأن لا نشاطره الرأي، ونقرّ بصحّة ما ورد في المنجد. فلئن وجب الاعتراف معه بأنّ «الملوم الذي لا عذر له ظلّ ملومًا حتّى يأتي بعذر»، إلاّ أنّه لم يتّجه إلى المعنى البعيد في المثل، وقد فهمه الشارح حين بيّن ما مفاده: ربّ ملوم لا عذر له ظاهرًا، فلا يتجنّى التسرّع في إدانته على ما أكّده الشاعر المذكور (المشرق).

(٤٠) المنجد ص ١٠٠٩.

زيادةً في البيان لإفادة طلاّب اللغة العربيّة. وإذا استفاد الطلاّب من هذا التقويم الوجيز ووجد ناشرو الكتاب ما يسوغهم من التعليقات في هذه الورقة فالحمدلله. وإيّاه تعالى نسأل أن يجعل اجتهادنا إيجابيًّا مقبولًا عنده وعند علماء العربيّة وآدابها.

المراجع

أبو زيد عبد الرحمن أبو سعيد يخلفتن، القصائد العشريات، القاهرة، المشهد الحسينيّ، (بلا تاريخ).

أبو زيد عبد الرحمن أبو سعيد يخلفتن، وأبو بكر محمّد بن المُهيب، الوسائل المتقبّلة في مدح النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم). القاهرة، المشهد الحسينيّ، (بلا تاريخ).

أبو محمّد القاسم بن علي بن محمّد الحريريّ، مقامات الحريريّ، مصر، عيسى البابي الحلبيّ، ١٣٥٦/ ١٩٣٨، .

أحمد الإسكندريّ ومصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربيّ وتاريخه، الطبعة السادسة عشرة، مصر، دار المعارف، ١٩١٦.

أحمد الإسكندريّ وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشوي وأحمد ضيف، المنتخب من أدب العرب، الجزء الرابع، مصر، دار الكتاب العربيّ، ١٩٥٤.

حسيب غالب وأديب صعيبي، بيان العرب في المعاني والبيان والبديع والعروض، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، (بلا تاريخ).

حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربيّ، بيروت، المطبعة البولسيّة (غير مؤرّخ).

دار المشرق، المنجد في اللغة، الطبعة الرابعة والثلاثون، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤.

زكريّا إدريس حسين، أبواق الذهب (مخطوط)، جامعة إلورن، نيجيريا، ١٩٩٢.

عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي، كتاب الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبويّة لابن هشام، الجزء الأوّل، مصر، مطبعة الجماليّة، ١٣٣٢/ ١٩١٤.

عبدالله بن إسماعيل الصاوي، شرح مقصورة ابن دريد، القاهرة، عبد الحميد أحمد حنفي، ٣٧٠/ ١٩٥١.

علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع، الطبعة الخامسة عشرة، مصر، دار المعارف، ١٣٨١/ ١٩٦١.

عليّ بن أبي طالب، نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح)، قم: انتشارات الهجرة إيران، ١٣٩٥ هـ.

عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمّد هارون،

الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٨/١٩٦٨.
محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الثانية، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥/١٩٣٦.
محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، الجزء الأوّل. إستانبول، دار الطباعة العامرة، (غير مؤرّخ).
محمّد عطيّة الأبراشي، عظمة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٧١.
محمّد المويلحي، حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن، بيروت، دار التراث، ١٣٨٩/١٩٦٩.
القرآن الكريم

المراجع الإنجليزيّة

Ali, Sayyed A., *A Short History of the Saracens*, Delhi: Kutub Khana Ishayat-al-Islam, 1979.
Arberry, A. J., *Arabic Poetry: A Primer for Students*, Cambridge University Press, 1965.
Delano, Isaac O., *Owe L'Esin Oro: Yoruba Proverbs*, Ibadan: University Press Ltd,. 1983.
Gibb, H. A. R., *Arabic Literature: (An Introduction)*, London: Oxford University Press, 1963.
Hitti, P. K., *A History of the Arabs*, 10th Ed. London: Macmillan, 1970.
Hyman, Robin (compiler), *A Dictionary of Famous Quotations*, Revised Ed. London: Pan Books, 1973.
Oseni, Z. L, «Afenmai-Yekhee Proverbs» (an annotated Translation), MS. Ilorin: University of Ilorin, 1978.
Oseni, Z. I., «The Poetic Life of Tumadir al-Khansâ' Bint 'Amr (c. 575-664 A. D.)», *NATAIS Journal of the Nigerian Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies*. 2 (3), December 1982, pp. 19-35.
Oseni, Z. I., «A critical Evaluation of al-Khansâ' Bint 'Amr's Arabic Threnody *(Ritâ')*», *NATAIS* (4), Dec. 1983. pp. 58-70 and 88-91.
Shakespeare, W., *The Twelfth Night, The Complete Works of William Shakespeare*, 14th Impression, London, The Hamlyn Publishing Group Ltd, 1971, pp. 66-88.